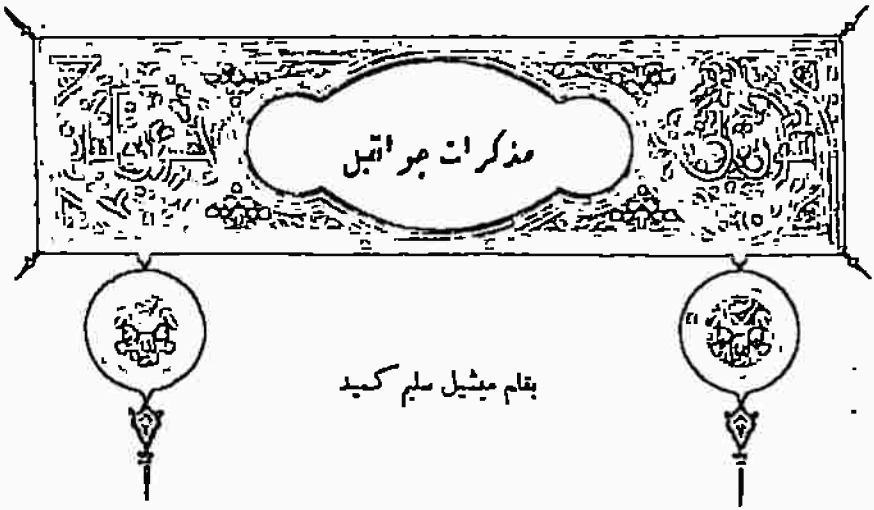

٢

« وبالفعل ، حين قذفونا باول قذيفة ، ركعنا كما نصحنا ، على ركبنا ، فسقطت هذه الرمية الاولى امامنا ، بين اثنين من قلاعنا ، حيث كان يشتغل الجيش في ردم النهر[1] ، وقد كان هناك رجال خُصِّصوا لاخماد النار ، وحيث ان المسلمين لم يكن بامكانهم رميهم بالنار ، لسداعي وجود جناص السرادقات ، التي اقامها الملك . فكانوا يرموننا بالقذيفة ، عموديًا نحو السماء ، ولكنها كانت تعود فتنزل عليهم .

« ومن طبيعة هذه النار الاغريقية انها تشبه في مقدمها برميل خمر ، ولها ذنب طويل كأطول الرماح . وحين وصولها ، تحدث جلبة عظيمة ، حتى يخال انها صاعقة انقضّت من السماء ، وتظهر كتنين ملتهب طائر في الجوّ . وما تحتويه من الكمية العظيمة من النار يسطع بنور شديد ، حتى يمكن المرء ان يرى المعسكر ، كأنه في وضح النهار .

« وقد رمونا بهذه النار ثلاث مرّات ، وبالمنجنيق اربع مرات . وفي كل مرة سمع ملكنا القديس لويس قذفنا بالنار ، كان ينهض من سريره ، ويلبس

---

١) كان الصليبيون قد عسكروا بالقرب من النيل ، وارادوا سدّ مجراه الاصلي ، وتحويله الى مجرى آخر ، كي يقطعوا الماء عن جيوش المسلمين ، فيضطروهم الى التسليم . ولكنهم لم ينجحوا . اذ كان هؤلاء لهم بالمرصاد يراقبونهم ، ويدورهم وسّعوا المجرى الاصلي من الجهة الاخرى ، وابطلوا عمل الصليبيين .

ثيابه ، ويرفع يده نحو السيد المسيح ، باكياً: «ايها الرب المولى ، احمِ رجالي» واعتقادي ان صلواته هـذه نفعتنا لدى الحاجة . وقد كان يُرسل الينا ، عند كل اطلاق قذيفة اثنـاء الليل احد حجّابه مستفهماً عنّا ، ليرى هل حصل لنا ضرر بهذه النار .

«وصدف مرة ان سقطت النار بالقرب من احدى القلاع ، فهرع اليّ احد الفرسان ، المـدعو لبيجوه ، من رجال السيد دي كورتني ، قائلاً : «مولاي ، اذا لم تساعدنا ، هلكنا حرقاً ، اذ ان المسلمين ارسلوا علينا وابلاً من السهام ، بينما النار تتقدم كسور نحو القلعة.» ويوثبة كنّا هنالك ، فوجدنا ما قاله صدقاً وحاولنا اخماد النار ، ولكن قبل ان ننتهي قذفنا المسلمون بوابل من السهام ، من الناحية الاخرى للنهر.»

* * *

ذكر البدو

وجوانتيل يذكر عن البـدو انهم اتباع شيخ الجبل ، وهم بالحقيقة ابعد عن ان يكونوا من مريديه ومحبّذيه ، وهو الذي يطلب من اتباعـه التضحية ، والخضوع الاعمى للموت ولـذا كان من المستبعَد ان يختار شيخ الجبل المرعب خدمه واتباعه من البدو . ولعلّ جوانتيل حين كتابته هـذه المذكرات ، بعد تلك السنوات الطويلة التي مضت على رجوعه من الاراضي المقدسة ، خلط بينهم وبين الاسماعيليين . وعلى كل حال ، هلم بنا نرى ما يحدثنا به عنهم :

« .. بما ان هذا يدخل ضمن موضوعي ، فلاحدثنكم عن هؤلاء البدو . انهم لا يؤمنون بمحمد ، بـل بشريعة علي ، عم محمـد (كذا) ؛ كما انهم يؤمنون بشيخ الجبل ، الذي يعول الحشّاشين . وهم يعتقدون ان من يموت لاجل سيّده ، او لاي عمل طيّب ، فروحه تحلّ في جسد احسن واسعد من جسدها السالف ، ولهذا السبب لا يبالي الحشّاشون بالموت ، في تنفيذ اوامر شيخ الجبل اذا قُتلوا ... والبدو لا يسكنون البلاد والمدن ، ولا القلاع ، بل العراء . وعندما يكون الطقس مكدرًا نهارًا ، او في المساء ، يضعون نساءهم واطفالهم تحت نوع من الخيام ، التي يصنعونها من دوائر البراميل ، مضروبة على دكاكر

منصوبة ... وعلى تلك الدوائر يضعون جلود الغنم ، المسأة بالجلود الدمشقية بعد دبغها بحجر الشبّ . والبدو يغطون كل اجسامهم ، وافخاذهم ، وارجلهم بجلباب من الجلد . واذا امطرت السماء ، أو تقلب الطقس ، يلتفون بها ... وفي اليوم التالي يضعونها في الشمس ، ويصلحونها ، حتى تصبح كأنها لم تبلل اثناء الليل .

« انهم يعتقدون ان الرجل ، لا يموت الّا في يومه . ولذا تراهم لا يحملون اسلحةً للدفاع . واذا ارادوا لمن اولادهم يقولون لهم : « لتكن ملعوناً ، كالافرنج ، الذين يتسلحون خوفَ الموت ! » وفي المواقع سلاحهم عبارة عن الحربة والرمح فقط ، ويلبسون قيصاً كالكهنة (كتونة) ، وعلى رأسهم لفافة من القماش ، وهي تمرّ تحت ذقونهم ، فتزيد منظرهم قبحاً . وساجة ، لسواد شعر رؤوسهم وذقونهم .

« هم يعيشون من البان ماشيتهم ، وكي يحصلوا على طعام مواشيهم ، يتساعون حق الانتجاع من اسياد الاراضي . وعددهم غير معلوم ، لان منهم في مملكتي مصر والقدس . وفي كل اراضي المسلمين والزنادقة ، وهم يدفعون كل عام ضرائب كبيرة . »

* * *

ذكر الوباء

وقد ابتلي جيش الصليبية بمرض مخيف ، وذلك بسبب القحط ، وعدم وجود غذاء نظيف ، فقد اضطروا لأكل اصناف من السمك تأكل الجيف . والجيف كما نعلم تسبب الاوبئة . فبأكلهم هذه الاسماك الحقيرة ، انتشر المرض المريع في الجيش ، وأصيب به عدد عظيم . وهذا المرض يتسبب ايضاً من فساد الدم . اما الغلاء فبلغ حداً فاحشاً ، حتى ان ثمن البيضة الواحدة بلغ ، في عيد الفصح ، ما يقرب اليوم من ثلاثة غروش مصرية ، او ثمانية عشر غرشاً سورياً . وهكذا قل عن باقي الاشياء والحاجيات ، وقد أصيب جوانفيل بهذا الداء الوبيل ، في اواسط الصوم . ومما يدلنا على جلَد اولئك الفرسان ، وشدة اعصابهم ، ومتانة اجسامهم ، ما حصل له اثناء مرضه . فانه بينما كان ملقىً على سريره ،

يعاني امرّ الاوصاب ، واشدّ الآلام ، من دائه الشديد ، كان امامه كاهنه ، المصابّ ايضاً بذات الداء ، يُقيم القداس في غرفته ؛ فاذا به قد تمايل وكاد يسقط اوانَ تقديم الذبيحة الالهية . فما كان اسرع جوانفيل بنهوضه من فراشه حافياً ، حتى تناول الكاهن التعيس بين يديه ، وسنده الى ان اتمّ الذبيحة بكل هدوء . على ان هذا القدّاس كان آخر ما قام به الكاهن المسكين . ان ما فعله جوانفيل يستحقّ الاعجاب ، فقد قام بواجبه كمسيحي وكشهم باسل يغار على دينه ، على الرغم من انه كان يتألم اشدّ الآلام المرة ، اولاً من الجروح التي أُصيب بها في المعارك ؛ وثانياً من الحمّى التي كانت تنهش اعصابه ولحمه ؛ وثالثاً من الزكام الهائل الذي كان يشعر به يتشى في عروقه من رأسه الى انحاء جسمه . ولكن جسمه الحديدي ، جسم فرسان القرون الوسطى ، فرسان الصليبية الابطال ، تغلّب امام الواجب ، فساعد الكاهن المسكين المحتضر على اتمام قداسه الاخير .

* * *

اسر الفريس لويس وجوانفيل

وبسبب هذا المرض ، المتفشي بين الجنود ، قُرّر الانسحاب . فمنهم من امتطى صهوات الخيل كالملك لويس ، قاصداً دمياط ، وقد اسره المسلمون في رجوعه ومنهم من ركب المراكب كجوانفيل الذي أُسر ايضاً بعد انسحابه بيوم ، وقد حاصره المسلمون في وسط النيل ، فالتزم ان يسأم السلاح بعد ان اشاع احد بحّارته انهُ ابن عم الملك . وهذه الاشاعة ، وان تكن انجته من الموت ، فانها سببت لهُ عذاباً هائلاً ، فان المسلمين اذاقوه كؤوس الآلام . اذ انه ، حين احاطت به مراكبهم ، واعلن بحّارته انهُ ابن عم الملك ، طمعاً في انقاذه ، وثب احدهم الى مركبه ، قائلاً لهُ : « مولاي ! اذا لم تتصرف بحزم ، هلكت . فانه يجب ان تثب من سفينتك ، الى حافة حيزوم هذا المركب . اذا فعلت ذلك ، نجوت واعملوك . فان همهم الاهم ، نهب سفينتك . » فأجاب جوانفيل ووثب . ولكنه تقلقل ، وكاد يسقط ، لو لم يسنده الرجل . وهناك تألّب عليه مَن في السفينة ، فرموه الى الارض ودحرجوه ، وكل منهم يطلب

قتله كي ينال الشرف العظيم بذلك. وكانوا من حواليه ينادون: « ابن عم الملك ! ابن عم الملك ! ». وفي هذه الاونة شعر المسكين بالسكين تحزّ عنقه. ولكن نعمة الله ادركته ، فانقذته مما كان فيه اذ تداخل احد فرسانهم في الامر ، وحمله الى غرفة المدافعة في السفينة حيث رفعوا عن رأسه الخوذة ، والقوا عليه غطاء له . وهناك اخذته قشعريرة المرض ، ثم رعدة الخوف . واتفق ان طلب ماء للشرب ، وما كاد يشربه حتى خرج من انفه. فنادى رجاله ، واخبرهم انه ماثث لا محالة ، اذ في حلقومه ثقب . ثم اراهم اياه ، فبكوا تحسرًا . ولمّا رأى الفرسان المسلمون بكاء رجاله ، تحوّلوا اليهم ، واستفهموا عن السبب ، فاخبروهم بذلك . فاشار احدهم على الفارس ، الذي انقذه قبلًا ، ان يعطيه دواء . فنفعه الدواء وشفي بعد يومين.

وقد قتل المسلمون جماعة من فرسان الصليبيين الصغار ، الذين ابوا جحود دينهم . وفي تلك الآونة ، ارسل السلطان رسلًا الى الملك لويس يساومونه ، على قيمة الفدية ، محاولين اولًا ان يحصلوا على مقاطعة في فرنسة ، فردّهم الملك بإباء . ثم سألوه اعطاءهم بعض الحصون في فلسطين ، فرفض ذلك ايضاً ، اذ ليس هي ملكه ؛ ولو كانت كذلك لما سمح بها . وبعد اخذ وردّ طويل ، وعدهم الملك ان يدفع لهم خمسمائة الف دينار ذهباً (ما يقارب عشرة ملايين من الفرنكات ذهباً) فدية لرجاله . ولكنه هو شخصيًا لا يثمن. وانما يعطيهم دمياط كفدية عنه . ولمّا اخبر السلطان ذلك ، قال : « بحق ديني ، ان هذا الافرنجي عظيم . فهو يرفض المساومة على هذا المبلغ العظيم من الدنانير . اذهبوا خبّروه ، اني سأدفع عنهُ ، من الفدية ، مائة الف دينار ! »

وفي تلك الآونة ، كانت مشادّات بين السلطان والامراء انتهت بثورة هؤلاء ، وشهرهم الحرب عليه ، ثم حصروه في قصره الخشبي البديع ، واشعلوا فيه النار. قال جوانفيل في ذلك : « انني لم انظر نارًا كهذه بهيئة عمودية قط »

وقد قبض الامراء بعيد ذلك على السلطان المنكود ، وضربوا عنقه . ولست اتمالك ان امر على هذه الحادثة ، دون ان ارويها ، ففيها تتجلّى اخلاق القديس لويس تماماً ، وعظته وشرفه ، وعزّة نفسه الطيبة . فان احد فرسان

المسلمين ، اخرج قلب السلطان الصريع من صدره ، وحمله على رأس سيفه ، وتقدم الى الملك بيديه المخضّبتين بدماء مولاه التعس ، قائلاً : « ماذا تعطيني انا الذي قتلت عدوّك ، الذي كان يقصد قتلك ، لو افسح له ؟ » ولكن الملك ادار وجهه ، ولم يجبه . لم يجب ذلك الذي يتهجّم على سيّده ووليّ نعمته ، ويلطخ يده بدمائه ، ثم يسارع اعداءه عليه ؛ كما لم يجب ذلك الرجل الذي طلب اليه ان يرسمه اميرًا فارساً ، وهو يكفل انقاذه ، وكما رفض ان يصير ملكاً على مصر وسورية ، لو تحوّل عن دينه . . . رفض كل شيء عرض عليه بإباء ، وعزة نفس !

الخلوص

واراد المسلمون بعد ذلك قتل الاسرى ، ولكنهم عدلوا . وعقدوا مع الملك لويس معاهدةً جديدة . فسلمهم دمياط ، ودفع الفدية النقدية ايضاً . وهنا لا يسعني إلّا ان اذكر عفة الملك القديس ، ونزاهته مع الاعداء ، كما مع الاصدقاء ، فكان اذا وعد ، فوعد نزيه حر شريف . واتفق انهُ حين الدفع ، تمكن السيد فيليب دي نيمور (Messire Philippe de Nemours) ، من غشّ الامراء بعشرة آلاف من الدنانير . ثم تقدّم الى الملك ، وخبره . فتغضب هذا غضباً شديداً . وطلب اليه ارجاع النقود ، قبل الابتعاد في النهر . فانه وعد بدفع المبلغ كله . فاجاب السيد فيليب انهُ يمزح . فقال الملك : « ان هذه المازحة لهي في غير محلها . واني آمرك بما لي عليك من العهد ، وبما انك من رجالي ، ان تدفع العشرة آلاف دينار ، ان كنت لم تدفعها لهم حقيقة . » فاذعن السيد فيليب ودفع المال .

وبعد ان وفى الملك الفدية ، اقلع الى عكا . وكان جوانفيل لا يزال مريضاً ، وكذلك رجاله . حتى ان عدد الموتى بلغ في يوم واحد نحو العشرين .

ثم زُيّن للملك لويس الرجوع الى فرنسة ، فاشار عليه كل الاسياد بذلك عدا جوانفيل الذي عارضهم . فهاج النبلاء ضدّه وماجوا . ولكن الملك طلب مهلة ثمانية ايام ، ليبحث عن الاوفق لهم . وبعد انقضائها جمعهم واعلمهم برأيه وعزمه على البقاء في الاراضي المقدسة ، حيث وجد انه بذهابه ، سيفقد

الصليبية بمملكة القدس الشريف ، وايثاره البقاء لصيانتها ، ومساعدة النصارى هناك . ومنذ ذاك الوقت غدا جوانفيل ، اكبر صديق للقديس لويس واعز رفيق .

* * *

شيخ الجبل

وقد رمّم الملك كل الحصون ، حينذاك ، وزاد في تحصينها . واوفدت اليه الوفود من جميع الاقطار ، من فردريك الثاني ، وملك مصر ، وملك دمشق ، وشيخ الجبل . وهذا الاخير هو من يهمنا اليوم ، فانه رئيس تلك الطغمة التي كانت في اطراف الجبال المعروفة الآن بجبال النصيرية او العلويين . والتي اسسها حسن بن الصباح في القرن الحادي عشر ، وجعل لها مراتب وانظمة خفية . وجعلت همها الاوحد قتل من يعاكسها ، او لا يوافق غاياتها . وكم من امير خطير ، او حاكم كبير ، سقط تحت طعنات خناجر رسلها الفداء ؟ ارسل شيخ الجبل رسله الى الملك لويس يعرض عليه الولاء والصداقة . ولعلّ نفسه كانت تحدّثه بقتله ، ان لم يقبل موالاته ، وان يبعث اليه رسله القتلة كجاري عادته . وانه يهمنا طبعاً ان نطلع عليها ، لما حوت من فائدة ولذة في تعرّف عادات هذه الطائفة المرعبة المخيفة . وجوانفيل يحدثنا عن جميع ما شاهده او سمعه فيقول :

« . . في اثناء وجود الملك في عكاء . قدم رسل شيخ الجبل ، والملك اوانئذٍ يحضر القداس . وحين انتهى ، امر باحضارهم اليه ، وقد اجلسهم الملك ، بشكل انهُ كان في المقدّم امير مرقد افخر اللباس ، ووراء هذا « ممتاز » بلباس حسن ايضاً يحمل بين يديه ثلاث سكاكين ، متداخلة في بعضها ، وهذه تُستعمل اذا ما رُفض طلب الامير ، فتقدم للملك كعلامة قتال . ثم يتلو هذا آخر يحمل قطعة قماش ، ملفوفة على ذراعه ، تُقدم للملك ايضاً ككفن لهُ ، لو رفض عريضة شيخ الجبل . واذن الملك للامير بالكلام ، فقدم لهُ تقريراً ، وقال : « لقد بعثني سيدي لأسألك اذا كنت تعرفه ؟ » فاجاب الملك انهُ لا يعرفهُ قط لانهُ لم يره ، وانما سمع عنهُ . فقال الامير : « انهُ ليدهشني جداً انك سمعت

بولاي ، ولم تراسله بالهدايا ، لتوثيق اواصر الصداقة ، كما يفعل امبراطور المانية ، وملك المجر ، وسلطان بابل (مصر) ، وكما يفعل سواهم ، كل عام. فانه لا يخفى عليهم ان حياتهم تتوقف على سرور مولاي. فاذا لم يسرك هذا ، فاعفه من الجزية ، التي يدفعها الى فرسان الهيكل والمستشفيات (الاسبتارية)[1] ، وهو يقنع منك بذلك » وكان شيخ الجبل يدفع الجزية للهيكليين وفرسان المستشفيات. لان هؤلاء لم يكونوا ليخافوا عمّال شيخ الجبل . وهذا يعلم ان لا فائدة تجنى من قتل رؤسائهم ، فانه اذا قتل واحداً ، يخلفه آخر . فهو لا يطوّح بالحشّاشين في حوادث لا تعود عليه بفائدة.

« فقال الملك للامير ان يرجع بعد الظهر ، ولمّا اتى وجد الملك بين رئيسي فرسان الهيكل والمستشفيات . وطلب منهُ هذا ، ان يُعيد ما قاله صباحاً ، فأبى ... وفي ثاني يوم قابل الأمير الرئيسين في مركزهما ، فلاماه ، على تعرّض سيده الوقح للملك ، بمثل هذا الكلام القاسي . ثم قالا لهُ : « اننا نأمرك بالرجوع الى مولاك ، وبان تعود بعد خمسة عشر يوماً ، حاملاً رسائل وهدايا. لحصول رضى الملك عليكم.»

« وبالفعل ، عادا يحملان قميص شيخ الجبل ، علامةً منهُ انهُ يريد ان يصادق ملك فرنسة ، اكثر من اي ملك آخر ، كما ان القميص هو اللباس الذي يتلو الجسد . وارسل اليه خاتمه المصوغ من الذهب ، والمنقوش عليه اسمه ، اشارةً انهُ بذلك « يتزوّج » (اي يتحد) الملك ، وبذلك يصيران واحداً . وارسل جواهر ايضاً ، كان بينها فيل من البلّور جيد الصنع ، وزرافة واصناف فواكه مختلفة ، كلها من البلّور ، والعاب للطاولة ، وشطرنج ، واشياء اخرى ، وكلها كانت مزيّنة بزهور العنبر ، موصولة بها بنقوش جميلة من الذهب الرفيع . وما ان فتح الرسل العلب عنها ، حتى خيل ان الغرفة كلها تعطرت ، لما انتشر من الروائح الطيبة.»

ثم ان الملك ارسل رسلاً الى شيخ الجبل ، يحملون هدايا « ومعهم الاخ ايف لُبريتون ، الذي يجيد العربية . وهذا علم ان شيخ الجبل ، لا يؤمن

(١) Chevaliers du Temple et de l'Hôpital

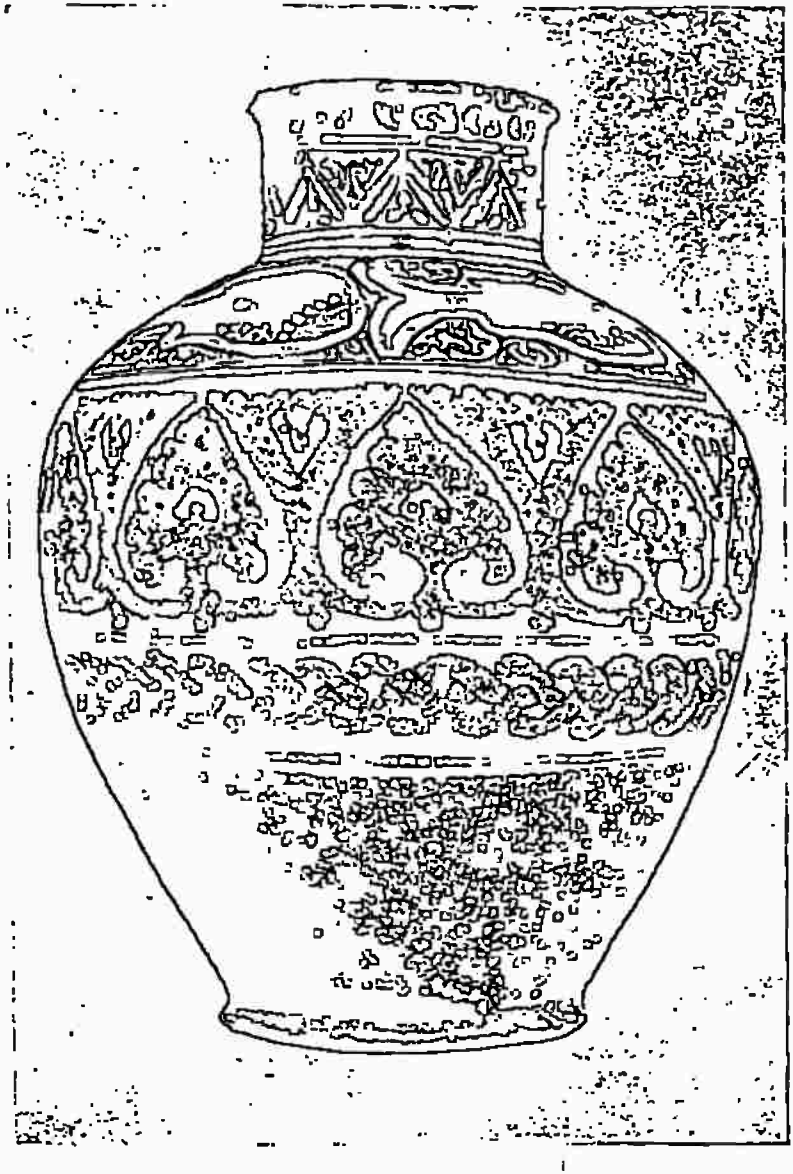

اناء من الفاشاني بزخرف لمّاع من القرن الفاطمي في القاهرة (القرن الثاني عشر)

عن مجموعة الدكتور فوكه القديمة (Dr Fouquet)

كوب من الفاشاني بزخرف لمّاع من الفن
الفارسي في الري (القرن ١٠ او ١١)
(متحف اللوفر)

كوب من الفاشاني بزخرف متعدّد الالوان
من الفنّ الفارسي في الريّ (القرن ١٣)
(عن مجموعة انجل غرو القديمة Angel - Hirds)

صحن من الفاشاني من الفن الدمشقي
(القرن السادس عشر)
(عن مجموعة ريمون كشلين Kuechlin)

صحن آخر من الفاشاني الدمشقي
(القرن السادس عشر)
(متحف اللوفر)

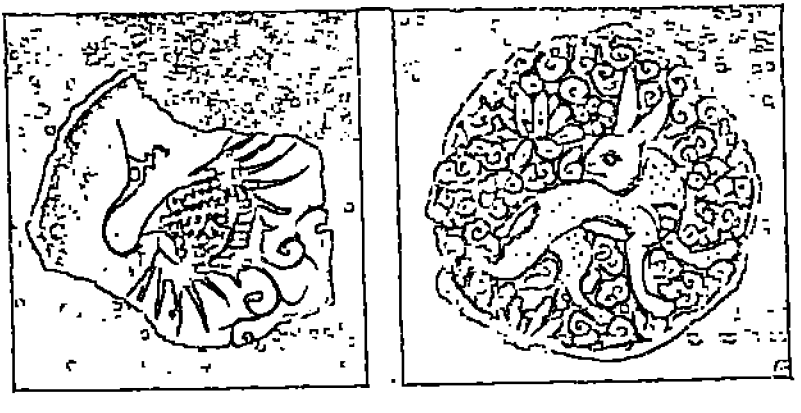

قطعتان من كوبين وُجدتا في اسبوط (بين القرن الثاني عشر والقرن الخامس عشر)
(عن ريمون كشلين)

بمحمد بل يتبع علياً « عم محمد ! » وان الاخير حين تولى الشعب ، طرد عمه وابعده ، ولما رأى علي هذا جمع اليه كلما قدر عليه من الناس ، وعلّمهم غير ما يعلّمه محمد (كذا!) . واليوم هؤلاء يقولون ، عن اتباع محمد زنادقة ، وكذلك يقول الذين يؤمنون بمحمد عنهم (كذا!) .

« ومن احدى شرائع علي ، ان المرء الذي يموت في سبيل امر سيده ، فروحه تتقمص في جسد آخر اشدّ حرية من الاول . ولذا فالحشّاشون يقدمون على الموت ، حين يصدر مولاهم الامر اليهم . . .

« وقد وجد الاخ ايف على مخدّة سرير شيخ الجبل كتاباً ، يتضمن جملة من كلمات السيد المسيح حين كان على الارض وجهها للقديس بطرس ، فقال لشيخ الجبل : « آه يا مولاي ، بالله عليك ، اكثر من قراءة هذا الكتاب ، فهو يتضمن كلمات مفيدة جداً » فاجابه شيخ الجبل انه يفعل ذلك ، قائلاً : « اني اعتبر كثيراً سيدي القديس بطرس ، لانه عند ابتداء العالم ، حين قتل قابين هابيل ، انتقلت روحه الى جسد نوح ، ولما مات هذا ، انتقلت الى جسد ابراهيم ، ولما مات هذا ايضاً ، انتهت بان سكنت جسد القديس بطرس »

« وحين يركب شيخ الجبل ، يتقدمه منادٍ يحمل فأساً ، بسنان طويل ، مغطّى بالفضة ، وفي حزامه عدد من الخناجر ، وهو ينادي : « ابتعدوا عمن يحمل حياة الملوك بين يديه »

هذا ما خطّه لنا جوانفيل عن شيخ الجبل الذي كان يهادي الملوك والامراء وكبار الحكام ، ويعمل على قتل من لا يرضى بمعاهدته .

* * *

ويحدثنا جوانفيل ايضاً عن التتار ، وقذارتهم والرائحة المنتنة ، الناتجة عن اللحم المقدّد الذي يحملونه في اخراج على متون الخيل . ثم يطرفنا بما فعله الملك من تأمين الطرق ، وتحصين البلاد ، وحوادث طريفة مفيدة ، الى ان يحدثنا كيف تلقى الملك نعي الملكة والدته . فقد حزن حزناً شديداً ، ومنع الكل من الدخول عليه مدة يومين كاملين . قال جوانفيل :

« . . وبعد هذا ارسل اليّ خادم غرفته ، وما ان دخلت اليه ، ورآني ،

وكان وحده ، حتى بسط نحوي ذراعيه قائلاً : « اواه ايها الوزير ، لقد فقدت والدتي ! » فاجبته : « مولاي انني لا استغرب ذلك ، حيث انهُ يجب ان تموت ولكن الاستغراب يتملكني حين اراك تحزن هـذا الحزن الشديد ، وانت رجـل حكيم . وانت تعلم ان الحكيم يقول ان ما للمرء من حزن فليحفظه في قلبه ولا يظهره على محيّاه . »

« وبعدئذٍ اتى الملك كثيرًا من المحامد هناك ، وبعث رسلًا الى فرنسة ، وزوّدهم برسائل الى الكنائس ، كي يُصلّى لاجل روح الملكة المتوفاة »

وفي سنة ١٢٥٤م ، عزم الملك على الرجوع الى فرنسة ، بعد ان شكره البارونات ، حكّام صيدا ، وصور ، وقيصرية ، ويافا ، وعكاء ، على تحصين البلاد . وانـه لم يبقَ لبقائـه في فلسطين اي ضرورة . وفي نيسان ١٢٥٤م ركب البحر .

* * *

هذا ملخص مذكرات جوانفيل الخالدة . وهذا مجمل صفحة من الصليبية ، التي لعبت اكبر دور في تاريخ بلادنا العزيزة ، وكان لها تأثير يُذكر ، لا تزال آثاره الى اليوم . وهـذه الصفحة المجهولة من اكثر ابناء سورية ولبنان جديرة بالـدرس ، والبحث . فعجبًا عنايتنا بها ، ولو قليلًا ، اذ انه من العار ان لا يعرف المرء ما مر ببلاده من الاطوار التاريخية العظيمة .